المحاضرة السادسة: جمع القرآن الكريم وشبههم حوله

أ ـ تسمية الجمع تنقيحا :

أطلق «بلاشير» على عملية جمع القرآن الكريم تنقيحا (١).

الجواب :

إنّ هذه التسمية من المستشرقين مقصودة وذلك ليوحوا أن القرآن الكريم كأي جهد بشري قابل للزيادة والنقصان والتبديل والتغيير للوصول به لما هو أفضل كما هو في المقياس البشري. والذي دفعهم لمثل هذا اللون من التفكير ما نقل من جهود الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وفي عهد التابعين من إعادة كتابة القرآن الكريم وجمعه حفاظا على النص القرآني من التحريف والتغيير والنقص والزيادة ، واختلاف اللهجات فيه فظنوا أن ذلك كان من باب التنقيح للنص القرآني والتعديل فيه.

ولكن الله سبحانه قد تكفل حفظ هذا القرآن الكريم من أي تبديل وتغيير أو نقص وزيادة فأودع حفظه في صدور المسلمين ، وفي السطور قال تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ)[٢] فلم يدخله ما زعمه «بلاشير» التنقيح بمفهومهم فهو ما زال غضا طريا كما نزل ، وسنذكر فيما يلي أهم النقاط التي أبرزوها حول جمع القرآن الكريم ، وانطلقوا منها لبناء شبهاتهم.

---

(١) انظر مقدمة القرآن ـ بلاشير ص ٣٢ ـ ٣٥.

(٢) سورة الحجر : ٩.

ب ـ المرحلة الأولى من الجمع القرآني وشبهاتهم حولها :

تاريخ جمع القرآن الكريم :

حاول بعض المستشرقين مثل «بلاشير» و «كازانوفا» التشكيك في تاريخ جمع القرآن الكريم وأول من جمعه فبعضهم اعتبر أول جامع له رسول الله ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ وبعضهم اعتبره أبو بكر ، عمر ، سالم ، عثمان ، علي ، الحجاج (١).

الجواب :

مر القرآن الكريم بثلاث مراحل أساسية وهي :

أ ـ الجمع النبوي للقرآن الكريم.

ب ـ جمع أبي بكر ـ رضي الله عنه.

ج ـ جمع عثمان ـ رضي الله عنه.

والجمع له معنيان :

أ ـ يطلق تارة ويراد به حفظه وتقييده في الصدور. وأحيانا يراد به الكتابة في الصحف والسطور.

ب ـ والمعنى الثاني وهو المقصود في مراحل الجمع الثلاث الآنفة الذكر.

المسألة الأولى :

المرحلة الأولى : الجمع فى عهد الرسول ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ :

أثار المستشرقون على هذه المرحلة عدة شبهات منها :

الشبهة الأولى :

أن الرسول ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ لم يجمع القرآن بنفسه ، ولم يأمر أحدا بجمعه وإنما

---

(١) انظر مقدمة القرآن ـ بلاشير ص ٣٢ ـ ٦٨ ، وجمع القرآن ـ بيرتون ص ١٢١ ، القرآن.

كان ذلك بجهد شخصي من بعض الصحابة وفي بعض المناسبات ، وأن الجمع الفعلي كان في المدينة المنورة بعد هجرته ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ تأثرا باليهود.

وقد استدلوا على ذلك بعدة أدلة منها :

١ ـ رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال : «لا تجعلوا أحدكم يقول : لقد حصلت على مجمل القرآن ، فكيف يتسنى له أن يعرف ما ذا كان ذلك المجمل؟ إن كثيرا من القرآن قد ذهب. فليقل بدلا من ذلك : لقد حصلت على ما ظل موجودا».

٢ ـ رواية منسوبة لزيد بن ثابت رضي الله عنه حيث قال فيها :

«لقد مات النبي ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ ولم يكن قد تم جمع القرآن في أي مكان» (١).

الجواب :يحمل الجمع النبوي في عهده ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ معنيين : الحفظ في الصدور : وحفظ السطور ، أما الأول : فيدل عليه قوله تعالى : (إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)(٢) فقد ضمن حفظ هذا القرآن في صدره ـ عليه الصلاة والسلام ـ وصدر مجموعة من صحابته فإن كان عدد الحفظة لكل ما كان ينزل بالعشرات ، فإن حفظة الأجزاء منه والسور والآيات يعدون بالمئات ، وكان عددهم في ازدياد باستمرار لما لهذا القرآن عند المسلمين من قدسية ومحبة ، ولأنهم كانوا يعتبرونه من أعظم الطرق التي تقربهم إلى الله سبحانه وتعالى.

---

(١) انظر جمع القرآن لبيرتون ص ١١٧ ، ومقدمة القرآن ـ بلاشير ص ٤١ ، ومقدمة القرآن واط ص ٥١ ، والقرآن والمستشرقون ـ رابح جمعة ص ٧٨ ، والموسوعة البريطانية نقلا عن كتاب قضايا قرآنية ص ٢١٦.

(٢) سورة القيامة : ١٧.

أما حفظه في السطور فالمعروف أن رسول الله ـ صلىاللهعليهوسلم ـ كان أميا لم يكتب بيده الشريفة شيئا ولكنه كان قد اتخذ كتبة لكافة أغراضه واحتياجاته للوحي والمراسلات والخطابات بلغوا الأربعين ونيفا (١) ، فكان إذا نزل شيء من القرآن على رسول الله ـ صلىاللهعليهوسلم ـ استدعى بعض كتبته وأمر بتسجيلها ثم حفظها لبعض صحابته (٢) وكانت كتابتهم للقرآن الكريم على اللخاف ، والعسب ، والأكتاف ، والأقتاب ، وقطع الأديم.

أما الأدلة التي استدلوا بها فلنا عليها تعليق.

هذه الروايات مما استدل بها بعض الفرق على نقصان القرآن الكريم وإسقاط شيء منه فرواية عبد الله بن عمر إن صحت الرواية فالمراد بها النهي عن حفظ كل ما نزل من القرآن ناسخه ومنسوخه ، لأن من القرآن ما نسخت تلاوته بعد نزوله فالواجب أن يقول حفظت من القرآن غير منسوخ التلاوة. وأيدوا أدلتهم المدعاة بدليل آخر وهو قولهم : «ما عندنا إلا كتاب الله وما في هذه الصحيفة» فالمقصود بالصحيفة هنا الأحكام التي كتبها عن النبي ـ صلىاللهعليهوسلم ـ.

ولم ينف أن عنده أشياء أخرى من الأحكام التي لم يكن كتبها أو أراد : ما ترك مما يتعلق بالإمامة ، أي لم يترك شيئا يتعلق بأحكام الإمامة إلا ما هو بأيدي الناس. وهذا رد صريح على دعاوي الرافضة ومزاعم المستشرقين الذين تلقفوا إفكهم هذا وهو حذف شيء من القرآن الكريم لمصلحة تخصهم (٣) والشاهد في قوله : «ما ترك إلا ما بين الدفتين» أي من القرآن الذي يتلى لأن ما سواه مما نسخت تلاوته في حياة النبي ـ صلىاللهعليهوسلم ـ

---

(١) انظر كتاب النبي ـ صلىاللهعليهوسلم ـ د / محمد الأعظمي.
(٢) انظر كتاب صحيح البخاري ٥ / ١٨٣ كتاب التفسير وفتح الباري ٩ / ٢٢.
(٣) انظر فتح الباري لشرح صحيح البخاري ٩ / ٦٤ ـ ٦٥ ، طبعة دار المعرفة بيروت (بتصرف).

الرواية الثانية :

التي استدلوا بها على عدم جمع القرآن في عهده الشريف الرواية المنسوبة لزيد بن ثابت وهي قوله :«لقد مات النبي ـ صلىاللهعليهوسلم ـ ولم يكن قد تم جمع القرآن الكريم في أي مكان».

فقد ذكرها السيوطي في إتقانه ونقل توضيح الخطابي لمقصودها حيث قال : «إنما لم يجمع ـ صلىاللهعليهوسلم ـ القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته ، فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر» (١).

أما ما أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ـ صلىاللهعليهوسلم ـ «لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه وحدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب علي ـ قال همام : أحسبه قال : ـ متعمدا ـ فليتبوأ مقعده من النار» (٢).

قال «القاضي» : كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير في كتابة العلم. فكرهها كثيرون منهم ، وأجازها أكثرهم. ثم أجمع المسلمون على جوازها وزال ذلك الخلاف. واختلفوا في المراد بهذا الحديث الوارد في النهي.

فقيل : هو في حق من يوثق بحفظه ويخاف اتكاله على الكتابة إذا كتب. وتحمل الأحاديث الواردة بالإباحة على من لا يوثق بحفظه كحديث «اكتبوا لأبي شاة» .. وحديث أن ابن عمرو بن العاص كان يكتب ولا أكتب .. وغير

---

(١) الإتقان ـ للسيوطي ١ / ٥٧.

(٢) صحيح مسلم ٤ / ٢٢٩٨ ـ ٢٢٩٩ كتاب الزهد والرقائق.

ذلك من الأحاديث.

وقيل : إن حديث النهي منسوخ بهذه الأحاديث. وكان النهي حيث خيف اختلاطه بالقرآن فلما أمن ذلك ؛ أذن في الكتابة.

وقيل : إنما نهى عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة لئلا يختلط فيشتبه على القارئ (١).

فالنهي يكون عن كتابة مخصوصة وبصفة مخصوصة. أما القرآن الكريم فالشواهد على كتابته وملازمتها للحفظ واردة بأحاديث كثيرة منها حديث زيد نفسه والبراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ في صحيح البخاري قال : «لما نزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين قال النبي ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ ادعوا فلانا ـ فجاءه ومعه الدواة واللوح أو الكتف فقال : اكتب «لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله» وخلف النبي ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ ابن أم مكتوم. فقال : يا رسول الله أنا ضرير فنزلت مكانها (لا يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ)(٢)(٣).

وزيد نفسه هو الذي قال : «كنا عند رسول الله ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ نؤلف القرآن من الرقاع ..» (٤).

وهذا نص صريح يدل على أن القرآن كان مكتوبا على أشياء متعددة وفي أماكن مختلفة ولكنه لم يكن مرتب السور ولكنه مرتب الآيات بدليل رواية عثمان ـ رضي الله عنه ـ قال : «كان رسول الله ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ مما يأتي عليه الزمان ، وهو تنزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء منه دعا بعض من كان يكتب فيقول : «ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»

---

(١) حاشية صحيح مسلم ٤/ ٢٢٩٨ كتاب الزهد والرقائق حديث رقم (٣٠٠٤).

(٢) سورة النساء : ٩٥.

(٣) انظر صحيح البخاري: ٥ / ١٨٣ كتاب التفسير ، تفسير سورة النساء.

(٤) انظر المستدرك للحاكم ٢ / ٢٢٩ كتاب التفسير.

وإذا نزلت عليه الآية يقول : «ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ...» الحديث (١).
فمن مجموع الروايات أن الكتابة كانت منتشرة في عهده ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ وعلى رأس ذلك القرآن الكريم فكان حفظ الصدور ملازما لحفظ السطور في كل الأحوال مع أن الأصل الحفظ أما الكتابة فكانت للتوثيق ولكن لما كان بعض الصحابة يكتبون مع القرآن غيره في صحيفة واحدة نهوا عن ذلك لئلا يختلط مع القرآن سواه فلما أمن الاختلاط أذن لمن كان عنده الحرص والرغبة في الكتاب أو كان ضعيف الحفظ أن يكتب بنفسه أو يكتب له شيء من السنن والأحكام كنصوص شرعية يجب معرفتها والعمل بها.

---

(١) الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ١٢٣.
(٢) سورة الحجر آية : ٩.
(٣) قضايا قرآنية ص ٢١٩.
(٤) فصلت : ٤١ ـ ٤٢.

الشبهة الثانية :

أ ـ عدد الحفظة للقرآن الكريم.

ب ـ ونزاهة الكتبة وشبههم حولهم.

أ ـ عدد الحفظة للقرآن الكريم :

أثار كثير من المستشرقين شكوكا حول عدد الحفظة ليصلوا بذلك لعدم رواية القرآن بالتواتر وأن قلتهم أدى إلى ضياع شيء من القرآن بموت بعضهم وعلى رأسهم «بلاشير» الذي زعم أنه حقق المسألة ووجد أن عددهم سبعة وفي قول آخر : إنهم تسعة أشخاص.

أما «شيفالي» فذكر أنهم اثنان فقط (١).

مستندين على روايات ذكرت بعض الحفظة كما في طبقات ابن سعد وهم :

١ ـ ابن مسعود.

٢ ـ سالم.

٣ ـ معاذ بن جبل.

٤ ـ أبي بن كعب.

٥ ـ زيد بن ثابت.

٦ ـ أبو يزيد.

٧ ـ أبو الدرداء.

الجواب :

كان النبي ـ صلىاللهعليهوسلم ـ ينزل عليه القرآن الكريم فيقرؤه على صحابته بتؤدة وتمهل كي يحفظوه ويفهموه «كنا نحفظ العشر فلا نتجاوزها حتى نحفظها ونعمل بها» (٢) قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : كان رسول الله ـ صلىاللهعليهوسلم ـ إذا نزل عليه الوحي سمع عند وجهه كدوي النحل فأنزل عليه يوما فمكث ساعة فسري عنه فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال : «اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارضنا وارض عنا» ثم

---

(١) انظر مقدمة القرآن بلاشير ص ٢٨ ، ومقدمة القرآن واط ص : ٤١ .

قال : أنزل علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) حتى ختم عشر آيات (١).
وقد جعل الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ القرآن الكريم في المقام الأول في العناية والاهتمام فتنافسوا في حفظه وفهمه ، فكانوا يكثرون من قراءته وترداده آناء الليل وأطراف النهار.
عن أبي موسى قال : قال رسول الله ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ «إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن ، حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم ، بالقرآن بالليل ، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار ..» (٢) الحديث.
وكان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يتفاخرون بحفظ شيء من سور القرآن الكريم من فم رسول الله ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ
وكان اعتمادهم في الحفظ على التلقي والسماع من الرسول ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ فكان من خصائص هذه الأمة حفظهم كتاب ربهم في صدورهم فوضعوا «أناجيلهم في صدورهم» فلا عجب والحال كما سمعت أن يحفظه الجم الغفير من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فكان على رأسهم الخلفاء الأربعة وكان منهم : حذيفة بن اليمان ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو هريرة ، وعبد الله ابن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبوه. وزاد بعضهم طلحة ، وسعدا ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعبد الله بن السائب قارئ مكة ، وغيرهم من المهاجرين.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن من سورة المؤمنون حديث رقم ٣١٧٢.
(٢) انظر : صحيح مسلم ـ كتاب فضائل الصحابة حديث رقم :٢٤٩٩
(٣) سورة آل عمران : ١٤١.
(٤) صحيح مسلم ٤ / ١٩١٢ كتاب فضائل الصحابة حديث ٤٢٢٢

وقد ذكرت هذا الجم الغفير من الصحابة لأنقض مزاعم كل من «بلاشير» و «شيفالي» و «نولديكه» حيث زعم بعضهم أن إيداع الحفظ لحافظة الصحابة أدى لاضطراب النص القرآني ضد المرتدين ، خاصة إذا علم أنه مات من القراء في معركة اليمامة «خمسمائة من الصحابة ، وسبعون من القراء في يوم «بئر معونة» كما جاء في صحيح البخاري عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : «بعث النبي ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ سبعين رجلا لحاجة يقال لهم : القراء. فعرض لهم حيان من بني سليم رعل وذكوان عند بئر يقال له : «بئر معونة» فقال القوم : والله ما إياكم أردنا ، إنما نحن مجتازون في حاجة للنبي ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ فقتلوهم. فدعا النبي ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ عليهم شهرا في صلاة الغداة ، وذلك بدء القنوت وكنا نقنت» (٢).

فالروايات التي استنتج منها «بلاشير» أن العدد محصور بسبعة أو تسعة لم يقصد منها الحصر كقوله ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ :

«خذوا القرآن من أربعة : من ابن أم عبد ـ فبدأ به ـ ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وسالم مولى أبي حذيفة» (٣).

---

(١) انظر المرشد الوجيز لأبي شامة ص 41

(٢) انظر صحيح البخاري ٥ / ٤١ ـ ٤٢ كتاب المغازي.

(٣) انظر صحيح مسلم ـكتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٢٤٠٠

وما كان من ألفاظها للحصر فللعلماء فيها تأويلات منها :

١ ـ أنه لم يجمع جميع القرآن عن رسول الله ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ ويأخذه من فيه تلقيا ، غير تلك الجماعة ، فإن أكثرهم أخذوا بعضه عنه ، وبعض القرآن عن غيره.

٢ ـ منها أنه لم يجمعه على عهد رسول الله ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ ممن ظهر به وأبدى ذلك من أمره وانتصب لتلقينه ، وأصبح يقصد للتلقي عنهم بالإشارة من رسول الله ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ وأحيانا لشهرتهم بين الصحابة في تعليم القرآن الكريم.

وقيل : فيها تأويلات أخرى.

٣ ـ ومنها أنه لم يجمعه مكتوبا لنفسه غير هؤلاء ..

أما الروايات التي اعتمد عليها المستشرقون وعلى رأسهم «بلاشير» في تحديد العدد بسبعة أو تسعة هما روايتان عن أنس ـ رضي الله عنه ـ وبعض الروايات التي ذكرها ابن أبي داود في كتابه المصاحف.

فالرواية الأولى عن أنس من طريق ثمامة : «مات النبي ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ ولم يجمع القرآن غير أربعة : أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد ، قال : ونحن ورثناه».

والرواية الثانية رواها عن أنس من طريق قتادة حيث سئل عن من جمع القرآن على عهد النبي ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ قال : أربعة كلهم من الأنصار : أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد».

فالملاحظ أن رواية ثمامة خالفت رواية قتادة من وجهين :

أ ـ التصريح بصيغة الحصر في الأربعة.

ب ـ ذكر أبي الدرداء بدلا من أبي بن كعب.

فعلى هذا فالروايتان مضطربتان.

ب ـ نزاهة كتبة الوحي :

استغل المستشرقون حادثة ردة عبد الله بن أبي السرح (٢) ليشككوا في نزاهة كتبة القرآن الكريم حتى زعم بع ضهم أنه زاد في القرآن بما يزيد عن خمس

---

(١) ينظر : فتح الباري ٩ / ٥٢

(٢) هو عبد الله بن سعد بن أبي السرح أخو عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ من الرضاعة .

حجم المنزل. كما زعم «كازانوفا» أن الأرض لفظت كاتبا آخر ليوحي أن عدم النزاهة لم تقتصر على واحد (١).

الجواب :

إن عمل عبد الله بن أبي السرح لم يتكرر من أحد سواه ، ولم يثبت لنا التاريخ ، ولا كتب السير أن واحدا فعل صنيعه على عكس مزاعم المستشرقين. ورسول الله ـ صلىاللهعليهوسلم ـ لم يترك هذه القضية دون اهتمام بل لما كشف له إساءة عبد الله بن أبي السرح وحكم بكفره أوقفه عن كتابة الوحي وأهدر دمه لبشاعة فعله وسوء أدبه مع خالقه ، وظنه السيئ برسول الله ـ صلىاللهعليهوسلم ـ حتى فر من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة (٢) ، ولم يشفع له إلا صدق توبته وحسن ندامته التي كانت بإلحاح من أخيه في الرضاعة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ورسول الله ـ صلىاللهعليهوسلم ـ لم يكن ليبقي أي تغيير حصل في كتاب الله سبحانه وإن أبقى شيئا فيكون لجواز إنزال القرآن بما سبقت به يد الكاتب كموافقات عمر لربه عزوجل.